دروس من هدي القرآن الكريم

المقرر الشـهري

ربيع الثاني ١٤٣٨ هـ

مواضيع مختارة من دروس
السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

أعد هذه المادة / يحيى قاسم أبو عواضة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.
اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

التسليم لله والعبودية له

أهمية الاستشعار الدائم لعبوديتنا لله

مادام الله هو ملكنا، وإلهنا، ونحن عبيده، هو ملك السموات والأرض، ونحن عبيده، مملوكون له، ما ذا يعني؟ أليس هذا يعني أنه يجب أن نسلّم أنفسنا له؟ أن نعبِّد أنفسنا له، أن نقبل ما يهدينا إليه، ما يوجهنا إليه، ما يرشدنا إليه، ما يأمرنا به، ما ينهانا عنه؟ أليس هذا هو منطق العبودية لله سبحانه وتعالى؟ هذا هو منطق العبودية لله. فمتى ما آمنت بالله على هذا النحو، وعبدت نفسي لله. واقرأوا القرآن الكريم كيف يرسخ هذا المفهوم عند الناس، حتى عند أنبيائه، أن عليهم أن يستشعروا أنهم عبيد له، ونحن نقول، نشهد بعبودية رسول الله أكثر مما نشهد بعبودية أنفسنا لله، نصلي كل يوم عدة مرات، ونقول في تشهدنا: وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ألم يعلمنا رسول (صلوات الله عليه وعلى آله) أن نشهد بعبوديته لله؟ فكيف تنسى أنت عبوديتك لله! رسول الله يقول لك: اشهد كل يوم بأني عبد لله، ثم أنا يجب أن أفهم بعد عندما لا بد أن أشهد أن محمداً عبد لله سبحانه وتعالى إذاً فأنا من أنا بالنسبة لمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله) هل يمكن أن استنكف عن عبادة الله؟ هل يمكن أن أرى نفسي فوق رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ أعلى منه؟ لا.

في الوقت الذي أنت تشهد أن محمداً عبد لله يجب أن تفهم أنك بالأولى أن تكون عبداً لله، فلا تستنكف عن عبوديته. ماذا يعني أنني عبد لله؟ ما يأتي من جانب الله يجب أن أقبله؛ لأنني عبد لمن؟ عبد لرحمن رحيم، عبد لحكيم عليم، لست عبداً لطاغية، لست عبداً لجبار من جبابرة الأرض، يأمر، وينهى، ولا يفكر فيمن يأمرهم وينهاهم.

أما الله سبحانه وتعالى فهو عندما يقول لي: انطلق على هذا الأساس، تقبّل هذا الشيء، سر على هذا النحو، فإنه هو الذي يعلم المصلحة لي، ولجميع البشر من حولي، وأنا من يجب أن أفهم أنني عبد له فأتقبل منه ذلك، وإذا لم نرسخ في أنفسنا العبودية لله سبحانه وتعالى فسنكون ممن قال الله عنهم: يستنكفون عن عبادته ﴿لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾(النساء: من الآية١٧٢) ولا الملائكة المُقَرَّبون لا يستنكفون أن يكونوا عبيداً له.

ما معنى لا يستنكفون أن يكونوا عبيداً له؟ متى ما أمرهم بشيء سينفذونه، عندما قال الله سبحانه وتعالى، أوحى إلى الملائكة أن يسجدوا لآدم، ألم يسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس؟ ألم يحصل هذا؟ لماذا؟ لأن الملائكة يعيشون هذا الشعور: بأنهم عبيد لله، فهم لا يستنكفون عن قبول أي أمر يأمرهم به، وسيسلّمون لله، ويعملونه بطيبة نفس، ﴿فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾(البقرة: من الآية٣٤) ما الذي دفع الملائكة؟ عبوديتهم لله، ما الذي جعل إبليس يرفض السجود لآدم؟ ما الذي جعله؟ هو أنفته، وكبرياؤه. أي هو لم يعبِّد نفسه لله، هو لم يكن صادقاً في عبوديته لله، فدفعه ذلك، أو أدى به ذلك إلى أن يصبح ماذا؟ ملعوناً مدحوراً مذموماً إلى آخر أيام الدنيا، يهتف البشر بلعنه.

أهم نقطة أن نفهم أن علينا أن نعبِّد أنفسنا لله سبحانه وتعالى، ثم آتي بعد وأنا أنظر إلى الأشياء، أنظر إلى سنة الله سبحانه وتعالى في هداية عباده، سنة الله في تشريعه لعباده سبحانه وتعالى، أنظر إليها من منظار أنني عبد لله كيف سنته، كيف سارت سنته في خلقه، أتقبلها بسهولة.

[الإسلام وثقافة الاتباع]

ماذا يعني أنني عبد لله؟

ماذا يعني أنني عبد لله، أطيع الله فيما أمر ونهى، أعمل على كسب رضاه، أحبه وأتولاه، أكون من حزبه، أكون من جنده، أكون من أوليائه، أستقيم، أستقيم على هذا النهج، أفهم تعامله معي سبحانه وتعالى كعبد له في هذه الدنيا أنه لا بد أن يبتليني بتكاليف متنوعة، ما بين شاق على نفسي، أو شاق على جسمي، وما بين سهل، ما بين

صعب علي باعتباره مخالف لهواي، أو لمصالحي الشخصية، أو لأي اعتبار آخر من الاعتبارات الدنيوية، وبين ما هو بعيد عن هذا الاعتبار.

جهل كثير من الناس، بمعنى تكليف الله لهم، جهل كثير من الناس بمعنى عبوديتهم لله تخلق إشكالات كثيرة جداً جداً، تؤدي في الأخير إلى مجرد الإقرار، الذي لا يتوافق معه العمل، ولا يتوافق معه حتى الاعتقاد ... أن أعلم بأنني عندما أقول: أنني عبد لله، وأقر بأن الله ربي، أن الله لا يكتفي مني بهذا، لا بد أن يمتحنني، لا بد أن يبتليني؛ ليتبين مصداق ما أدعيه، ويتبين استقامتي وثباتي على ما أدعيه.
[الاستقامة]

الأنبياء يكونون ذائبين في عبادة الله وفي العمل الصالح الذي يرضي الله

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾(البقرة: من الآية ١٢٦-١٢٨) هنا يقدم إبراهيم وإسماعيل شخصيتين عندهم حيوية، واهتمام عالي، ومشاعرهم كلها مليئة بالتوجه إلى الله، والإخلاص لله، والتقرب إلى الله بكل عمل ممكن ينالونه متجهين لبناء البيت فيرفعون قواعده وبإخلاص لله: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ لاحظ كيف فيما يتعلق بالمسؤولية أليست شرفاً عظيماً لإبراهيم وإسماعيل؟ هنا في قضية الشعور بالجدارة أنها قضية يجب أن تنسف التي أصبح عليها بنو إسرائيل فيما بعد فرأوا أن الكثير مما حصل لهم بحيث أن فيهم أنبياء وورثة كتب، وأشياء من هذه، ونعم وأشياء وكأنها جدارة، هم جديرون، هم جديرون، فليس لله فضل!.

هو شرف عظيم لإبراهيم وإسماعيل أن يوكل إليهم القيام بهذه المهمة، لكن لاحظ أليس هنا ذائباً في مسألة أنه يؤدي عملاً صالحاً يقبله الله، ناسياً موضوع [إذاً والله شرف عظيم حظيت به] وناسي أنه فقط يرى نفسه كبيراً، ويضخم نفسه، ذائب في الله، وفي العمل الصالح الذي يرضي الله: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ هم يعرفون أهمية البيت الحرام كمعلم من معالم توحيد الله، والتوجه الواحد كقبلة، يتوجه إليها عباد الله الموحدون ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ أنفسنا هذه نسلمها لك، هنا ألست تلمس أنه لا يوجد لديه التفاتة لنفسيته على الإطلاق، ليس مستغرقاً لمشاعر: أنه نبي، أنه عظيم، أنه جدير بهذا؟ لا توجد هذه، كل ما لديه من اهتمام: أن يتقبل الله منه العمل الصالح، وأن يجعله مسلّماً نفسه تماماً لله، يخضع نفسه لله، ويستغرق كل ذهنيته، كل تفكيره: الذوبان فيما يرضي الله، الذوبان في معرفة الله، وفي حب الله، التسليم لله.

[٢٩ الأعراف]

العبادة لله هي عمل في عمق التسليم لله وتجليات لتسليم الإنسان لله

التسليم يقتضي منك أن تعطي أهمية لما يأتي من هدى الله، تعطيه أهمية كبيرة، تتفاعل بجدية معه، وإلا فسيكون الإنسان معرضاً لأشياء خطيرة، معرضاً لأن يُضَل، ومعرض لأن تأتي له ابتلاءات أيضاً يَضِل بعدها.

هنا في قصة أصحاب القرية هذه: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾(الأعراف: من الآية١٦٣)، قرية مطلة على البحر من قرى بني إسرائيل، أو قرى فيها يسكنها بنوا إسرائيل. ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾(الأعراف: من الآية١٦٣)، يتعدون ما فرض عليهم في يوم السبت أن لا يصطادوا السمك، ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً﴾(الأعراف: من الآية١٦٣) فوق سطح الماء، وقريبة إلى الساحل، الحوت تأتي أمامهم هكذا، ﴿وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾(الأعراف: من الآية١٦٣).

هذه القضية تتجلى في داخل آيات القرآن أنها قضية خطيرة على الإنسان، وأنه في نفس الوقت يُقدّم داخل القرآن ما قد يجعل الإنسان بعيداً عن ابتلاءات من هذه، منها هذه القضية: التسليم المطلق لله، والإيمان الواعي، واللجوء الدائم، والمطلق إلى الله، وإلا فقد تتعرض لابتلاءات وأنتْ عِنْدك أنكْ فاهم، ومؤمن تماماً، [ولو يأتي ما يأتي

لن أتغير]، أليس بعض الناس قد يقول هكذا؟ [لو يجي ما يجي لما تحولت لو لو ... لما حصل كذا]!.

هذه قضية لا تطمئن إلى نفسك على الإطلاق، لا تنقطع إلى نفسك، انقطع إلى الله؛ ولهذا حكى عن الراسخين في العلم في قوله حاكياً عنهم: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾(آل عمران: من الآية٨) عندما رأوا آخرين زائغين، قلوبهم فيها زيغ ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾، لم يقولوا: أما نحن فنحن راسخون في العلم، ولا يمكن يزاغ لنا قلب، ولا يمكن تنزلق لنا قدم، وأشياء من هذه، لا، ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾(آل عمران:٨) ترحمنا أنت، ترعانا أنت، حتى لا تزيغ قلوبنا، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾، أنت الذي تهب الرحمة، أنت الذي ترعى أولياءك حتى لا تزيغ قلوبهم.

هؤلاء حصل لهم هذا الابتلاء، وذكر في سورة [المائدة] أيضاً: ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(المائدة: من الآية٩٤) هؤلاء أناس لم يحصل من جانبهم تسليم لله، حصل من عندهم تعدي في السبت، ربما كانوا يتعدون في السبت، وعندهم أنه اصطياد طبيعي، أو عندهم نية أن يتعدوا في السبت، وهم ما يزالون يصطادون بالطريقة العادية، فيأتي ابتلاء إلهي، تأتي الحيتان يوم سبتهم شرعاً، أمامهم على سطح الماء، ﴿وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ﴾، يعني: ما بعد السبت لم يعد هناك شيء، قد صار مثل باقي الوقت، يحتاج إلى اصطياد بالطريقة العادية.

﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾، الله حكى عن المؤمنين في آخر سورة [البقرة]: ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا﴾(البقرة: من الآية٢٨٦)، أليست مشابهة تماماً لما حكى الله عن موسى: ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا﴾(الأعراف: من الآية١٥٥) يعني أنت أولى بنا من نفوسنا، لا أمر لنا في نفوسنا معك، ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾(البقرة: من الآية٢٨٦). هنا يذكر ماذا؟ ﴿وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ نحن بشر، ونحن ضعاف، لا نثق بأنفسنا فيما لو تأتي ابتلاءات معينة.

القضية هذه لم يجعلها الله قضية غامضة بمعنى مثلاً أن الإنسان ربما قد يصفعه الباري، وهو لا يدري، لا، هناك أساسيات، هناك أساسيات فعلاً قد تبعدك عن ابتلاءات

قد تضعف أمامها فيما لو وقعت، منها هذه، تكون أنت لا تثق بنفسك على الإطلاق، مهما بلغ إيمانك، مهما بلغت أعمالك الصالحة؛ لأن الشيء الطبيعي بالنسبة للإنسان إذا كان مستشعراً التسليم لله، وانه عبد لله، أنه كلما كثرت عبادته لله، وكلما عظمت عبادته لله سبحانه وتعالى، كلما ازداد تسليمه.

فالعبادة هي أساساً عمل في عمق التسليم لله، وتجليات لتسليم الإنسان لله، لا تأتي العبادة لله على نحو كلما تعبد الإنسان لله كلما كبر عند نفسه، كلما كبرت نفسه عنده إلا عبادة من؟ الجاهلين، عبادة المغرورين؛ لأن الشيء الطبيعي أنه كلما كنت أكثر عبادة لله كلما كنت أكثر تسليماً لله.

لاحظ هنا نبي الله موسى في اللحظة هذه، تلاحظ تسليماً مطلقاً، لم يلتفت لنفسه أنه نبي، أو غير نبي، نفسه كعبد لله: ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾، لم يقل في نفسه: قد أنت نبي كيف لا يغفر لك وأنت نبي! لا يوجد عنده الفكرة هذه، منقطع تماماً في التسليم لله، والذي يسيطر على مشاعره العبودية لله سبحانه وتعالى.

[٢٩ الأعراف]

طاعتنا للقيادة القرآنية هي من تجليات عبوديتنا لله

أليس الله في الوقت الذي يقول عن القرآن الكريم: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ هو في نفس الوقت يقول: اتبعوا محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله)، ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾(النساء: من الآية٥٩)، أليس هو يقول هكذا، أليس هو يربط موضوع أن يكون القرآن تفصيلاً لكل شيء بالنسبة لهم مرتبطاً بمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله)؟. وبعد أن مات رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، قالوا: مات، لم يبق شيء إلا أن كل واحد يبحث هو! ورأى القرآن ليس تفصيلاً لكل شيء، [إذاً نحتاج إلى كذا، ونحتاج] وبحثوا، وأخذ ورد إلى أن ضاع.

إذاً هل يمكن أن نجهل بأن الله سبحانه وتعالى قد قال في كتابه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾(فاطر: من الآية٣٢) أنه يعلم أن أنبياءه سيموتون، وقال هو: أن الرسل سيموتون،

ويموت الناس جميعاً، أنه هو يورث؛ لأنه كتاب الله الحي القيوم، ليس كتاباً مثل الكتب الأخرى التي نقرؤها، ونقول: قال رحمه الله تعالى.

هذا كتاب الله، والله هو حي قيوم، فالقرآن نفسه في مسيرة القرآن هو ليس بمعزل عن قيومية الله على خلقه، على طول تاريخ الأمة هذه، هو كتاب يتخاطب مع كل أمة وكأنه أنزل إليها.

وهنا نتساءل هل هؤلاء الذين انطلقوا للعمل داخل القرآن الكريم شكلوا وقاية أو رحمة؟ أبداً، الأمة الآن وضعيتها سيئة؛ لهذا لاحظ أنه يأتي توجيهات، ويأتي بعدها في: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً﴾(الأنعام: من الآية١٥٩) متى لم يحصل اتباع، وبرؤية حقيقية، وصحيحة بهذا المعنى، معنى الاتباع، وهي قضايا بسيطة، نفس أسس الاتباع، أن تفهم أنه قرآن بالنسبة للناس يحتاجون هم إلى وارث له، متى ما توفر القرآن مع وارث له يمكن أن يمشي كل شيء، ويحصل تفصيلاً لكل شيء، ويتناول كل شيء.

أليس القرآن هو من عند الله؟ أليس الله هو الذي يخلق ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾(القصص: من الآية٦٨)، ليست القضية أنه قد توقف المصنع حقه، لم يعد هناك مصنع إنما فقط ذلك الزمن وانتهى، هو يخلق رسلاً، وبعد الرسل يخلق ورثة للرسل، وورثة لكتبه.

فالسنة الإلهية تقتضي أن يكون هناك هداة، وورثة كتاب، يلزم الناس باتباعهم وهم يُحمَّلون مسؤولية كبيرة جداً هم، يُحَمَّلون مسؤولية كبيرة جداً ألا يضل الناس، أن يبذلوا قصارى جهودهم في التبيين للناس، في هداية الناس، في تعليم الناس، والناس ملزمون بأن يتبعوا، يأخذوا دينهم منهم وينطلقوا لأداء مهمتهم ودورهم في الحياة.

وهذا الذي حصل بالفعل فالرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) عُلِم عنه أنه قال أشياء كثيرة فيما يتعلق بأهل البيت، من هذا، على هذا النحو، حتى عندما كان يتحدث أنه سيكون اختلاف، سيكون كذا، يحدث الناس بأنه (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدًا كتاب الله وعترتي أهل بيتي) عبارة تمسكتم، اتبعتم، معناها واحد، وربما كلمة تمسكتم تعطي تأكيداً للاتباع بأكثر مما تعطيه كلمة اتباع، تمسك.

[سنة الله في الهداية]

أعلام الهدى دورهم هو دور النبي

أنت عندما تتبع أهل البيت هم دورهم هو دور النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) أن يزكوك، أن يعلموك، أن يجعلوك على أرقى مستوى. هذا معنى إتباع أهل البيت، هذا هو من الخطأ في فهم المسألة، أن يتصور أن الإتباع يكون معناه أن أبقى جاهلاً [ما بلا هم يحتكروا العلم والمعرفة، وما يعطونا شيء!] هل الإمام علي كان يحتكر المعرفة أم كان يعلم أصحابه؟ بل كان يتأسف أنه لم يجد من يفهم (إن هاهنا لعلماً جماً لو وجدت له حملة) يضيق صدره، يبحث عن حملة.

وهكذا تجد أصحاب الأئمة من بعد، وكل من ذابوا في هذا المبدأ هم من طلعوا عظماء، طلعت عندهم معرفة واسعة. ومن قفزوا هناك وعنده إنه .. اتجه إلى نفسه هو، تصور بأنه يستطيع أن يصنع نفسه، لم يأخذ عبرة من قول الله تعالى: يعلمهم يزكيهم، أليست هذه هي مهمة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ لم يقل: هذا هو الكتاب تفضلوا، بل هو يتلوه عليهم، يتلو عليهم الكتاب، يعلمهم الكتاب، يعلمهم الحكمة، يزكيهم. أليست هذه يسندها إلى النبي نفسه؟ ما المطلوب منك؟ أن تتبع هذا النبي، ما المطلوب منك؟ هو أن تسلِّم نفسك له من أجل يعلمها الكتاب، يعلمها الحكمة، يزكيها، تطلع مثل ما طلع علي ابن أبي طالب، مثل ما طلع العظماء ممن ذابوا في الإتباع.

وهكذا هي نفس المسألة باتباع الهداة. وأن دور الذي يهدي الناس هو أن يهديهم يبين لهم حتى قبل أن يسألوا، قبل أن يستفسروا، يوصل إليهم المعارف على أوسع ما يمكن ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾ وكفاك علماً وحكمة وتزكية لنفسك تبيين كتاب الله لك ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ أليس تبيين الكتاب يعني حكمة وعلم وتزكية لك.. أليس يعني معارف؟.

[مبدأ الكمال]

لابد للناس من قيادة حتى ولو كانوا علماء

نحن نقول: إن الله يقول: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾(الإسراء: من الآية٩٥) ملائكة، هل أحد منا ملائكة؟ ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾(الإسراء: من

الآية٩٥) أليس هكذا يقول؟ الناس لو كانوا كلهم على قلب رجل واحد، من نوعية الإمام علي، لكان لا بد أن يكون لهم واحد، وطريقة واحدة يسيرون عليها، وشخص واحد يسيرون معه، قضية لا تختص لا بمجتمع معين، ولا بحالات معينة، بحيث يقول واحد: (أما إذا قد هو كذا فلا يعد يحتاج) لو قرأنا كلنا حتى نصبح علماء كباراً لكان لا بد من هذه الطريقة، وإلا فسنكون فاشلين.

[لقاء المعلمين]

***

توحد الكلمة لا بد منه في ميدان مواجهة أعداء الله وفي تطبيق دين الله في المجتمع

متى ما تفرقت قرية واحدة أمكن أن يظهر فيها فساد، وينتشر حتى يصل كل بيت فيها.

توحّد الكلمة لا بد منه في ميدان مواجهة أعداء الله، لا بد منه في تطبيق دين الله في المجتمع، لا بد منه في أن تبرز أنت كفردٍ ملتزماً بدين الله، متى ما حصلت فرقة في الأمة ما الذي سيحصل؟ ستكون النتيجة أن هذا فاسد، وهذا مقصر، الجميع عند الله ماذا؟ يستوجبون غضبه، الجميع عند الله عاصون، من الذي يتصوَّر أن يكون هناك مجتمعٌ متفرِّقٌ يمكن أن يكون متقياً لله كامل التقوى، لا يحصل هذا، أنت أقل أحوالك إذا لم تكن أنت فاسداً في حد ذاتك فأنت عنصر مساعد على الفساد أن ينتشر في مجتمعك لماذا؟ لسكوتي، لتقصيري، لإهمالي، لانزوائي بمفردي، ولأهمية الموضوع كلنا نقول: (لو أنّ كلمتنا واحدة لَمَا حصل كذا وكذا، لو كلمتنا واحدة لَمَا انتشر الفساد في المنطقة الفلانية، لو كلمتنا واحدة لَمَا كان مدرسٌ أو مديرٌ يلعب كيفما يشاء) أليس الناس يقولون هذا، يعرفون هذه؟ (لو أن الكلمة واحدة) كلمة مَن؟ الناس يُقِرّون بأن تقصيرهم هم، وهم الذين لم ينطلق من جانبهم هذا العمل التخريبي، وهذا العمل الفاسد، يُقِرّون بأن إهمالهم هو مما ساعد على انتشار الفساد، وظهور الفساد، وظهور الظلم، وغياب مبادئ الإسلام، أيْ في الأخير لا أحد يستطيع أن يحكم لنفسه في مجتمع متفرِّق أنه ملتزمٌ بدين الله، لا يستطيع أحد؛ لأن أقلّ ما أنت عليه هو أنك مُقصِّر، هو أنك لا تأمر بمعروف، لا تنهى عن منكر، لا تتعاون مع أخ على بِر ولا تقوى، أنك منزوٍ على نفسك؛ إذاً فأنت عامل مساعد على ظهور الفساد، وانتشار الفساد.

الاعتصام الجماعي بحبل الله لا بد منه حتى بالنسبة لكل فرد في أن يصح أن يقال بأنه ملتزم بدين الله، أنه متقٍ لله، أنه مطيعٌ لله، ولا ينطلق واحد من منطلق آخر.

[آيات من آل عمران الدرس الثاني]

في مواجهة اليهود لا بد أن نكون منظمين ودقيقين

قاعدة هامة فيما يتعلق بالعمل في مواجهة اليهود، يجب أن يرتقي الناس فيه إلى انتظام دقيق دقيق، ما يسمح إطلاقاً بعمل عشوائي في مواجهة اليهود، ما يسمح بعمل عشوائي إطلاقاً، لا بد أن يكون عمل الناس منتظم، حكيم، دقيق، وفق توجيهات واحدة.. اليهود أنفسهم على اختلاف البلدان التي يعيشون فيها حتى اختلاف جنسياتهم أيضاً يمشون بتوجيهات واحدة، وما غلبونا إلا لأنهم يسيرون وفق توجيهات واحدة.

إذا لم نكن في قضية مواجهة اليهود والنصارى نسير وفق توجيهات واحدة فسنكون فاشلين من أول خطوة بالتأكيد وليس فقط فاشلين بل سيشغّلك اليهود، أتعرفون هذه؟ خطورة اليهود هي أنها ليس فقط يوقفوك عند أن تفشل بل يستطيعوا أن يشغلوا الكثير ممن يحملوا علم، ممن هم طلاب علم، وممن هم مشائخ، وممن هم وجهاء في مناطق!. وكلمة [ما لنا حاجة] هي أيضاً من مظاهر العمل الذي يهيأ الساحة لانتشار ثقافة اليهود، وانتشار هيمنة اليهود، هذه واحدة منها.

[توصيات لطلاب الدورة]

***

من أهم صفات المؤمنين: التواصي بالحق والتواصي بالصبر

يؤكد الله سبحانه وتعالى أنها صفة لازمة من صفات المؤمنين؛ لأنه متى يمكن للإنسان أن يكون يقظاً إلا إذا كان مؤمناً صادقاً في إيمانه، من الذي يمكن أن ينطلق مع الآخرين، أو متى يمكن أن نصل إلى هذه الدرجة، فنتواصى فيما بيننا بالحق؟ إلا متى ما كان يهمنا أمر الحق، نعرف الأمور حق معرفتها، نعرف عظمة ديننا، نعرف ما يدبره أعداء هذا الدين لديننا ولنا، ونعرف كيف هي السنن التي توصلنا إلى رد شرهم ومواجهتهم، ورد كيدهم. عندما يكون هناك متيقّظون ومهتمون هم من يتواصون بالحق.

متى ما غاب التواصي بالحق فيما بين الناس؛ فاعرف أنهم في حال غفلةٍ عما يراد بهم، أنهم لا يشعرون بمسؤوليةٍ أمام دينهم وأنفسهم، لكن المؤمن، المؤمن الذي لن يكون خاسراً ولن يخسر، هم أولئك، المؤمنون الذين هم ناجون من الخسارة، هم أولئك الذين ينطلقون فيما بينهم بالتواصي بالحق، تتواصى بالحق، وما أوسع دائرة الحق! الحق مواقف، الحق أقوال وأعمال، وبذل وتضحية، ووحدة وألفة، وصدقٌ وثباتٌ وإخلاص...

والحق أيضاً لّما كان عملاً، لّما كان بذلاً، لّما كان جهاداً، لّما كان قولاً بالحق، لّما كان مواقف تصل فيها إلى ألّا تخشى سوى الله سبحانه وتعالى، لّما كانت أيضاً عملاً دائماً، عملاً دائماً مستمراً، حركةً دائمة؛ فإنه لابد من الصبر، فأنت توصي الناس بالحق، ثم تبيّن لهم كيف يمكن أن يكون حالهم وهم ينطلقون في ميادين الحق، فتذكّرهم بأنهم بحاجة إلى الصبر.

وما أعظم الصبر، وما أعظم الصبر، وعلى الصبر يتوقف نجاح كل من ينطلقون في عمل، الصبر هنا: إذا كنا نتواصى بالحق ثم لا نتواصى بالصبر، سيكون الناس أسرع إلى التلاشي والإنفلات والابتعاد، وأسرع إلى التضعضع وعدم الثبات والاستقامة.

إن الحق يحتاج إلى أن يوطن الإنسان نفسه على العمل، ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ**﴾(الحديد: الآية١٦) إذا ما انطلقنا للتذّكير والوعي والتواصي بالحق، دون أن تكون أنت وأنت تسمع توطن نفسك على العمل، ودون أن أكون أنا وأنا أتحدث معك أوطن نفسي على العمل؛ فإن تذكيري لك، وإن سماعك وإن كان كل يوم، سينتهي في الأخير إلى قسوة في القلوب، وينتهي في الأخير إلى أن لا أستفيد لا أنا ولا أنت بذلك التذكير مهما كان بليغاً، ﴿**فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ**﴾ طال عليهم الأمد ﴿**فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾.

فتسمع اليوم محاضرة تقول: والله جميلة بس أنا سمعت مثلها بالأمس، وأنا أريد أن أسمع غداً محاضرة جميلة، فنكون من يلحظ الجانب الفني في المحاضرات، دون أن نوطّن أنفسنا على العمل، ونكون نحن أيضاً من يخدع أنفسنا، أتحرك لأذكر، وأنت تتحرك أيضاً لتذكر، فتكون النتيجة في الأخير إذا لم يترافق عمل، إذا ما هناك تواصٍ بعمل تكون النتيجة غفلة، تكون النتيجة عكسية، نتيجة عكسية قد تأتي تلقائياً.

فعندما يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾(العصر) إنه تواصٍ عملي تواصٍ عملي.

أهل الباطل من يمتازون بأنهم لا يتواصون بالباطل مجرد كلام وإنما خطط عملية، تفكير عملي وبذلٌ لملايين الدولارات، وغربة عن الديار تسمع الآن البحار في البلاد الإسلامية مليئة بالشباب، من [ألمانيا، وإيطاليا، وفرنسا، وأمريكا، وأسبانيا] وغيرها من الدول.

غزاة فاتحون، ونحن أبناء الفاتحين، أصبحنا من نفتح بلداننا لهم، أصبحنا من نقعد في بيوتنا، وأصبح أولئك هم الفاتحون، وهم المجاهدون ـ إن صحت العبارة ـ وهم المقاتلون وهم المضحّون، وهم الباذلون، ليس فقط بالمئات، بل بملايين الدولارات؛ لذا ليس غريباً، ليس غريباً ما نرى أنفسنا عليه وما نراهم عليه.

إنها الحقيقة، ليست حال الدنيا، ليست حال الدنيا التي نقول ونردد: هكذا الدنيا، إنه العمل، كما كان الإمام علي (عليه السلام) يذكر أصحابه: (والله إني لأخشى أن يدال هؤلاء القوم منكم، لاجتماعهم على باطلهم، وتفرقكم عن حقكم) إنها سنة، سنة: أن يجتمع أهل الحق، أن تتوحد كلمتهم، أن يكون تذكيرهم عملي، أن يكون تواصيهم عملي، أن يكون خوفهم من الله فوق كل خوف من الآخرين، أن يكونوا من يخشون الله وحده ولا يخشون سواه؛ هم من سيقف الله معهم، هم من سيكونون حزبه الغالب، هم من سيكونون المفلحين، هم من سينتصرون، هم من سيعتزون، هم من سيقهرون أعداءهم.

[معاني سورة العصر]

***

لا تضع لنفسك خطّا لا تتجاوزه في مراتب كمال الإيمان والوعي

مطلب مهم، وغاية تستحق أن يسعى الإنسان دائماً إلى الوصول إليها: أن تطلب من الله أن يبلغ بإيمانك أكمل الإيمان. لا ترضى بما أنت عليه، لا تقف فقط على ما أنت عليه فتضع لنفسك خطّا لا تتجاوزه في درجات الإيمان، وفي مراتب كمال الإيمان.

من يرضى لنفسه أن يكون له خطّ معين لا يتجاوزه في إيمانه فهو من يرضى لنفسه بأن يظل تحت، وأن يظل دون ما ينبغي أن يكون عليه أولياء الله. الإنسان المؤمن هو

جندي من جنود الله، وميدان تدريبه، ميدان ترويضه ليكون جندياً فاعلاً في ميادين العمل لله سبحانه وتعالى هي الساحة الإيمانية، ساحة النفس، كلما ترسخ الإيمان في نفسك كلّما ارتقيت أنت في درجات كمال الإيمان، كلما كنت جندياً أكثر فاعلية، وأكثر تأثيراً، وأحسن وأفضل أداء.

[مكارم الأخلاق الأول]

الجندي المسلح بالإيمان لا بد أن تتبخر أمامه كل الدعايات، والتضليل

الجندي المسلح بالإيمان إذا لم يكن إلى درجة أن تتبخر كل تلك الدعايات، وكل ذلك التضليل ـ سواء إذا ما وُجِّه إليه، أو وجِّه لمن هم في طريقه، لمن هم ميدان عمله ـ يستطيع أيضاً أن يجعلها كلها لا شيء؛ لأن هذا هو الواقع، واقع الحق إذا ما وجد من يستطيع أن ينطق به، إذا ما وجد من يفهمه، وفي نفس الوقت يجد آذانا مفتحة واعية فإنه وحده الكفيل بإزهاق الباطل بمختلف أنواعه، ومن أي جهة كان، ومن أي مصدر كان ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾(الإسراء:٨١) زهوق بطبيعته إذا ما هاجمه الحق.

لكن ذلك الحق الذي يقدم بصورته الكاملة، ذلك الحق الذي يقدم بجاذبيته، بجماله بكماله، بفاعليته وأثره في الحياة هو من يزهق الباطل، لو قدم الحق في هذه الدنيا من بعد موت الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) وترك لمثل الإمام علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه وعلى آله) ـ ذلك الرجل الكامل الإيمان ـ لما عاش الضلال ولما عشعش في أوساط هذه الأمة، ولما أوصلها إلى ما وصلت إليه من حالتها المتدنية.

[مكارم الأخلاق الأول]

ما هي مشكلة الناس في كل زمان؟

مشكلة الناس في كل زمان، في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، في أيام الإمام علي (عليه السلام)، في كل زمان، الذين لا يفتحون آذانهم لا يمكن أن يؤثر

فيهم أي شيء، هم الذين يعجزون القرآن، ويعجزون محمداً، ويعجزون عليا، ويعجزون كل أولياء الله، يجعلونهم عاجزين أمامهم، الذين لا يفتحون آذانهم، أو يفتحونها فترة ثم يضعون لأنفسهم خطا معينا ويرون بأنهم قد اكتفوا، هؤلاء هم من تكثر جنايتهم على الأمة، وعلى الدين جيلا بعد جيل.

ونحن نحذر دائما من أن يضع الإنسان لنفسه خطا فإذا ما رأى بأن ظروف المعيشة هيأته إلى أن يتفرغ أكثر من جانب من جوانب العبادة كالصلاة مثلا كما يستمع موعظة هنا وموعظة هناك مرة أو مرتين ثم يقول: الحمد لله اكتفيت!.

تأتي المتغيرات، وتأتي الأحداث، ويأتي الضلال، والخداع والتلبيس بالشكل الذي ستكون ضحيته أنت، يكاد أن يأخذ حتى بأولئك الكاملين، بعض المتغيرات، وبعض الأحداث، وبعض وسائل التضليل، وأساليب الخداع تكاد أن تخدع الكبار، أولئك الذين يدعون دائما (وبلغ بإيماننا أكمل الإيمان).

ألم يذكر القرآن الكريم عن خداع بني إسرائيل، عن خداع اليهود أنهم كادوا أن يضلوا رسول الله؟ كادوا أن يضلوه لولا فضل الله عليه ورحمته، أولئك الناس الذين كانوا يجاهدون تحت رايته ألم يكونوا يتعرضون للتثبيط فيتخاذلون من جانب المنافقين، وهم من يسمعون كلام رسول الله (صلوات الله عليه وآله)؟.

هكذا إذا أنت لم ترب نفسك، إذا أنت لم تنم إيمانك ووعيك، فإن المنافقين هم من ينمون نفاقهم، هم من يطورون أساليبهم حتى يصبحوا مردة، يصبحوا خطيرين قادرين على التأثير، قادرين على ضرب النفوس، ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾(التوبة: من الآية١٠١) من خبثهم استطاعوا أن يستروا أنفسهم حتى عن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، استطاعوا أن يستروا أنفسهم حتى عن بقية الناس، أنهم منافقون، ثم تنطلق منهم عبارات التثبيط، عبارات الخذلان فيؤثرون على هذا وعلى هذا، وعلى هذا، تأثيرا كبيرا، هؤلاء مردة، كيف أصبحوا مردة؟.

لأنهم هم من يطورون أساليب نفاقهم، من ينّمون القدرات النفاقية داخل أنفسهم، فأنت يا من أنت جندي تريد أن تكون من أنصار الله، ومن أنصار دينه في عصر بلغ فيه النفاق ذروته، بلغ فيه الضلال والإضلال قمته يجب أن تطور إيمانك، أن تعمل على الرفع من مستوى وعيك.

فإذا لم يكن الناس إلى مستوى أن يتبخر النفاق أمامهم، أن يتبخر التضليل أمامهم فإنهم هم قبل أعدائهم من سيجنون على أنفسهم وعلى الدين، وعلى الأمة، كما فعل السابقون، كما فعل أولئك الذين كانوا في ظل راية الإمام علي، وفي ظل راية الحسن، وفي ظل راية الحسين، وفي ظل راية زيد (عليه السلام).

[مكارم الأخلاق الأول]

***

في ميدان المواجهة مع أعدائه يأمر المؤمنين بالصبر والتقوى

وفي ميدان المواجهة مع أعدائه يأمر المؤمنين بالصبر والتقوى ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا﴾(آل عمران: من الآية١٢٥) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾(آل عمران: من الآية٢٠٠) التقوى لابد منها، التقوى كحالة نفسية تسيطر على مشاعرنا، الحذر الشديد من أن نقصر، أو نهمل، أو نبتعد عن ما أرشدنا الله سبحانه وتعالى إليه، التقوى فيما تعنيه من انطلاقة في التحلي بالفضائل، من انطلاقة في كل العبادات التي شرعها الله سبحانه وتعالى لنا نؤديها كاملة بشكل واعٍ، نفهم مقاصد الله سبحانه وتعالى، ومقاصد كتابه في تشريعها.

إذا فقد الناس التقوى في نفوسهم في أعمالهم فلن يكونوا أبداً جديرين بنصر الله سبحانه وتعالى، وسيكون أول من يواجههم هو الله، سيكون أول من يضربهم هو الله، متى ما قصروا، متى ما أهملوا، متى ما ضيعوا.

***

من لا يتحركون في سبيل الله هم يعانون أكثر، وتكون المصائب عليهم أكبر وتكون وضعيتهم إلى ما لا نهاية في السوء.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾(البقرة: من الآية٤٠) عندما نرجع إلى قضية منهج نحن قلنا: نستوحي منهجية في عملنا من خلال القرآن الكريم من خلال أسلوبه، من خلال ترتيبه للقضايا تعطي منهجية للناس، عندما يعملون عندما يتحركون، هنا يقدم القضية تبييناً متكاملاً، تبسيطاً للمسألة، أليس هذا موجوداً؟

عندما تقول للناس: نحن عندما نتجه على الطريقة هذه لاحظ المسألة هي سهلة في الواقع، يعني: ليست القضية أنه عندما نتحرك في هذا الطريق فقط تحصل المصائب والمشاكل والعناء والخوف... لا. هذه هي تحصل عند الآخرين وستحصل عندنا، ولو كنا على طريق أخرى، ليس معناه سنكون في وضعية صحيحة وسالمين ولا يحصل علينا أي شيء يخيفنا، ولا أي شيء يقهرنا، ولا أي شيء يتعبنا، وإنما فقط عندما نتحرك في سبيل الله، بل العكس هو الصحيح، أن من لا يتحركون في سبيل الله هم يعانون أكثر، قد تكون المصائب عليهم أكبر وتكون وضعيتهم تقريباً إلى ما لا نهاية في السوء.

بينما من يسيرون في سبيل الله لو عانوا مرحلة معينة، وصبروا هي القضية التي في نصوص القرآن الكثيرة تتكرر كسنة إلهية متى ما صبروا هو الصبر الذي يأتي بعده فرج هو العناء الذي يأتي معه تأييد، تأييد نفسي تجعلك تتحمل، بينما في الحالة الأخرى، في حالة أن يكون السوء وأنت قاعد ومتخلف يكون للشيء وقعه الكبير على نفسك، تكون منهاراً معنوياً فتكون المصائب لها وقعها الكبير على نفسك، يعني: لو استوت مصيبتي ومصيبتك أنا متحرك وأنت قاعد لو استوت في شكليتها فالفارق الكبير في وقعها علي وعليك، هذه القضية كبيرة؛ ولهذا قال الله:﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ﴾(النساء: من الآية١٠٤).

عندما تكون أنت ترجو من الله مالا يرجوه الطرف الآخر معنى هذا ماذا؟ يزيدك هذا، يجعلك تتحمل القضية فلا يكون للمصيبة وقع عليك، أو للشيء الذي يعتبر مخيفاً وقع على نفسك كما لو وقع على الآخر، إذاً القضية أشد نكاية فيه، وأشد وقعاً عليه، سيكون عذاباً شديداً. هذه قضية، التبسيط للمسألة، ونحن بحاجة إلى هذه يعني: قضية مؤكدة في عمل الناس لا تقدم الدين حملاً للناس حملاً ومتاعب [والجنة حفت بالمكاره! والمؤمن يصب عليه البلاء صباً! ولازم نصبر ولازم كذا...] هذا غير صحيح.

***

المعاناة ستأتي حتى لو لم نتحرك في سبيل الله

ذكّر الناس بأنه يأتي حتى لو لم نتحرك سيأتي لنا أشد مما نحن فيه، أحسن أن يكون العناء في سبيل الله [إذا قد أنت من مات يوم السبت فيوم الجمعة أفضل] مثلما

يقولون، أليسوا يقولون هكذا؟ فهذا أسلوب هام جداً وطريقة ضرورية جداً؛ لأنك تجعل الإنسان هو ينطلق، عندما يقال لك أن تعطي مقارنات للناس تجعل القضية مبسطة لديهم ستصبح بسيطة عندما ترى بأنه فعلاً هي مصائب هنا أو هنا، لكنها هنا هي أفضل؛ لأنه يأتي بعدها فرج وأجر كبير من الله أو الشهادة لو حصلت المسألة وأدت إلى أن يقتل، بينما هنا في الطريق الآخر سيكون بدون مقابل، أليس سيعتبر هذا أفضل وأبسط وأسهل؟.

لكن أحياناً نأتي نتحدث في اتجاه واحد فقط: [يجب علينا أن نصبر ولو عانى الإنسان في سبيل ذلك فهو يعاني في سبيل الله...!] ونكون في نفس الوقت نقدم القضية أمام الناس بأنه سيلاقي مصائب وعقبات ويتصور بأنه لو كان قاعداً وليس هناك عمل في سبيل الله لما حصلت الأشياء هذه، وفي الأخير يقدم الدين للناس والعمل في سبيل الله للناس وكأنه أحمال ثقيلة هنا يقول: ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾(البقرة: من الآية٤١) عبارة ما ينبغي أن تكونوا كذا... كذا... هي قضية تعطيك أسلوباً أيضاً مع الآخرين.

نقول نحن مثلاً: الله سبحانه وتعالى أنعم علينا بالقرآن الكريم، أنعم علينا بموقع هام جداً من الناحية الجغرافية، من ناحية الثروات الهائلة التي نرقد عليها في باطن الأرض التي نحن فيها في الجزيرة العربية هذه، ما ينبغي أن نكون نحن أضعف الناس، لا ينبغي أن نكون أول كافرين بهذه النعمة، نعمة على ظاهر الأرض القرآن الكريم، ونعمة في باطن الأرض: الثروات الهائلة، نعمة في الموقع بكله؛ ولهذا يتسابق الآخرون عليه؛ لأنه موقع يعرفون بأن من يسيطر عليه يسيطر على العالم، الإسرائيليون الذين دولتهم ما تزال جديدة ولها فترة قصيرة عندهم طموح أن يهيمنوا على المنطقة هذه؛ لأنهم يعتقدون أن الهيمنة على المنطقة هذه يعني هيمنة على العالم بكله، وهذه حقيقة باعتبار موقعه، باعتبار ثرواته الهائلة.

الحرب الإعلامية أهدافها، خطورتها، وكيف نتعامل معها

من أهم ما يركز عليه إعلام العدو الحرب النفسية.

يقول السيد حسين رضوان الله عليه:

نحن كل ما صدر منا، وكل صرخة نرفعها، كل اجتماع نعمله كهذا أو غيره نحن إنما تأثرنا بوسائل إعلامكم فماذا تريدون أنتم عندما تعرضون علينا أخبار ضربات اليهود والأمريكيين والإسرائيليين هنا وهناك في أفغانستان وفي فلسطين، وفي كل بقعة من بقاع هذا العالم، عندما تعرضونها علينا ماذا تريدون أنتم من خلال العرض؟.

عندما تأتي أنت أيها المذيع وتعرض علينا تلك الأخبار، وعبر الأقمار الصناعية لنشاهدها، فنشاهد أبناء الإسلام يُقَتَّلون ويُذبحون، نشاهد مساكنهم تهدم، هل تظن أننا سننظر إلى تلك الأحداث بروحية الصحفي الإخباري الذي يهمه فقط الخبر لمجرد الخبر. وتهمه نبرات صوته وهو يتحدث واهتزازات رأسه. إن كنت لا تريد من نبرات صوتك أن توجد نبرات من الحرية، نبرات في القلوب، في الضمائر تصرخ بوجه أولئك الذين تقدم لنا أخبارهم، إن كنت لا تريد باهتزاز رأسك أن تَهز مشاعر المسلمين هنا وهناك، إن كنت إنما تحرص على نبرات صوتك وعلى اهتزازات رأسك لتظهر كَـفَنِيٍّ إعلامي، نحن لا ننظر إلى الأحداث بروحيتك الفنية الإعلامية الإخبارية، الصحفية، نحن مؤمنون ولسنا إعلاميين ولا صحفيين ولا إخباريين، نحن نسمع قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾(الصف:٢-٣) نحن ننظر إلى ما تعرضه على شاشة التلفزيون بنظرتنا البدائية، نحن لا نزال عرباً لم نَتَمَدّن بعد، وببساطة تفكيرنا كعرب مسلمين لا تزال في نفوسنا بقية من إبَاءٍ، بقية من إيمان، فنحن لسنا ممن ينظر إلى تلك الأحداث كنظرتك أنت.

لنقول لهم: إذا كنتم لا تريدون من خلال ما تعرضون أن تحدثوا في أنفسنا أن نصرخ في وجه أولئك الذين يصنعون بأبناء الإسلام ما تعرضونه أنتم علينا في وسائل إعلامكم فإنكم إنما تخدمون إسرائيل وأمريكا وتخدمون اليهود والنصارى بما تعرضون فعلاً؛ لأنكم إنما تريدون حينئذٍ بما تعرضون أن تعززوا في نفوس أبناء الإسلام في

نفوس المسلمين الهزيمة والإحباط، والشعور باليأس والشعور بالصَّعَة، أو فاسكتوا فلا تعرضوا شيئاً، ولكن لو سكتم فلم تعرضوا شيئاً ستكون إدانة أكبر وأكبر، ستكونون بسكوتكم تسكتون عن جرائم، تسكتون عن جرائم اليهود والنصارى في كل بقعة من بقاع العالم الإسلامي ضحيتها هم أبناء الإسلام، هم إخوانكم من المسلمين.

هذه الحقيقة التي يجب أن نعرفها وأن نقولها لأولئك، وأن نرفض الحقيقة التي يريدون أن يرسخوها في أنفسنا هم من حيث يشعرون أو لا يشعرون، حقيقة الهزيمة، حقيقة (الهزيمة النفسية)، لا نسمح لأنفسنا، لا نسمح لأنفسنا أن نشاهد دائماً تلك الأحداث وتلك المؤامرات الرهيبة جداً جداً، ثم لا نسمح لأنفسنا أن يكون لها موقف، سنكون من يشارك في دعم اليهود والنصارى عندما نرسخ الهزيمة في أنفسنا، عندما نَجْبُن عن أي كلمة أمامهم.

[الصرخة في وجه المستكبرين ص٢]

خطورة الشائعات وكيف نتعامل معها.

يقول السيد حسين رضوان الله عليه:

الأخبار قضية مهمة، الله أمر المسلمين أن يكونوا حكيمين في أخبارهم، وفي نقل أخبارهم، ووبّخهم واعتبرها خصلة سيئة فيهم:﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾(النساء: من الآية٨٣) أذاعوا، أخبار، [قالوا يشتوا، قالوا.. قالوا قد هم كذا.. وقالوا.. إلى آخره]. ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾(النساء: من الآية٨٣).

[خطر دخول أمريكا ص٤]

ويقول في الدرس الثامن عشر رمضان:

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً﴾(النساء:٨٣) هذا فيما يتعلق بالإشاعات، بالأخبار يمثل ضابطا مهما وتوجيها

مهما بالنسبة للمسلمين؛ لأن قضية الأخبار، إشاعتها قد يكون لها آثار سيئة في أوساط الناس توجد بلبلة وتوجد ضعفا، فالمفروض أنه في مواجهة أي أمر من الأمن أو الخوف، هي القضية بمعنى إشاعة؛ لأنه كل القضايا تكون متعلقة بجانب أمن أو خوف أن لا يشيعوه أن لا يذيعوه، ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾ مثلما تعمل القنوات الفضائية والصحفيون، أيّ خبر يكون همه أنه يستبق إليه ويعلنه قبل، هذه غلطة كبيرة جداً.

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾(النساء: من الآية٨٣) فيعرفون أن هذا الخبر قد يكون مجرد شائعة، كيف يقابلها، أو هذا الخبر يوحي بشيء حقيقي كيف الموقف المناسب منه وهكذا؛ لأن الأخبار يكون بعضها التي يسمونها تسريبات بعضها يكون تسريبات وراءها شيء، توحي بشيء، هنا قال:﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾(النساء: من الآية٨٣) هي توحي بشيء، فكيف الموقف المناسب منه كيف يعمل خبر آخر يقاومه أو كيف يعمل عملا معينا يقاوم ذلك الشيء الذي حاول الأعداء من خلال تسريبهم أن يوصلوه إلى الناس ليعرفوا كيف سيكون موقفهم منه، أو ينقل لك قضية، التحليلات، أن يتعود الناس على التحليلات والمجابر والأخذ والرد في القضايا، ليست قضية صحيحة أبداً؛ لأنه أيضاً الأعداء أنفسهم هم يحاولون يستبينون استبياناً كيف رؤى الناس وكيف مفاهيمهم وكيف يمكن أن ينفق عليهم التضليل هل يمكن نؤقلم رؤاهم على ما نريد ونصنع الرأي نحن لهم في القضايا؟.

[الثامن عشر رمضان]

بعض الشائعات وراءها احتلال، وراءها سفك لدمائهم وراءها تدمير لبيوتهم

والعجيب أنه يحصل عند الناس الطبيعة هذه، في الوقت الذي لا يوجد عندهم نية عملية، ليس لديهم نية عملية إلا مجرد كلام هكذا، هذا ممنوع سواء عند الناس نية عملية أو ليس عندهم توجه عملي، ممنوع، لا يعتبر أسلوباً صحيحاً على الإطلاق، وخاصة في المرحلة هذه، هذه مرحلة خطيرة جداً في موضوع الأخبار والتسريبات التي يأتون بها، لهذا يكون الناس أذكياء ولديهم قدرة على كشفها وعلى أن يتخذوا الموقف المناسب أمام العدو بعد تسريب معين، وإلا فقد تكون بعض الشائعات وراءها احتلال، وراءها سفك لدمائهم وراءها تدمير لبيوتهم، ليست قضية سهلة.

هذه ظهرت في العراق، الأشياء هذه، مثل بعض الشائعات التي يعملها الأمريكيون عندما ينطلق الآخرون يرددونها، في الأخير تفتح عليهم باب شر، عندما كانوا يضربونهم وقالوا: بقايا النظام السابق! قالوا: بقايا النظام السابق، على حسب ما يقدّم الأمريكيون، وضربوهم مرة ثانية، وهكذا.. المشكلة أنه في البلاد العربية فيما يتعلق بالإعلام لا ينطلقون على هذا الأساس، الذين يكونون صحفيين كثير منهم كثير من القنوات الفضائية لا يكون لديها موقف معين مبني على رؤية معينة، فقد تكون بعض الأخبار غير مناسب أن تنشره نهائياً، لكن قد عندهم هواية أنه لازم أي خبر ينشرونه، فتجدها لم تقدم شيئاً للأمة، ماذا قدموا من شيء؟ ماذا تركوا من أثر للناس؟ هل حصل توعية من خلال ما قدموه، توعية للناس، يعطي رؤية واحدة وموقفاً واحداً؟ لم يحصل شيء.

هذا يدل على أهمية الأخبار، أنه يجب أن تردّ إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، وإذا ما هناك التزام بالطريقة هذه فقد تكون منفذاً للشيطان قد تكون منفذاً لاتّباع الشيطان، فمن رحمة الله أن يوجه الناس إلى توجيه يبعدهم عن اتّباع الشيطان. ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾(النساء:٨٣) وهذا من فضله: أن يوجههم كيف يتعاملون مع الخبر مع الشائعات، سواء من صحيفة أو إذاعة أو تلفزيون أو كيفما كانت.

[الدرس الثامن عشر من دروس رمضان ص٢٦]

اليهود وراء إنشاء قنوات الفساد الثقافي والأخلاقي

اليهود يعرفون بأنك أنت الذي تفكّر بأنك لا تستطيع أن تعمل شيئاً ضدهم أنه متى ما أفسدوا أسرتك، أولادك الصغار. أليس أولادك الصغار من أضعف من تتصوَّر بأنه ممكن أن يعملوا شيئاً ضد إسرائيل؟ أليس هذا مما يتبادر إلى أذهاننا؟ لكن هم يعرفون بأن إفسادهم شيء مهم بالنسبة لهم، وبالنسبة للحفاظ على مصالحهم، وإلى الاستمرار في عملهم في تحويل الأمة إلى أمة كافرة، هم عندما يحرصون على إفساد أسرتك، أليس ذلك يعني أنهم يعرفون أن إفساد أسرتك هو في صالحهم؟ أليس كذلك؟ فهم عندما يعملون على أن تنزل (الدشات) هذه بأسعار رخيصة من أجل كل أسرة يمكن أن تأخذ لها (دُش) فتفسد المرأة: زوجتك، وبناتك، وأخواتك، وأولادك، وكل أقاربك. هم

ساهموا معك في قيمة (الدش) حقك فعلاً ساهموا بما تعنيه الكلمة. الدش قيمته حقيقة قد تكون مائة ألف مثلاً تأخذه بعشرين ألفاً، من الذي دفع الباقي؟ الصهيونية هي التي دفعت الباقي نقداً ـ فعلاً ـ إلى الشركات المصنعة.

الدش الذي فوق سطح منزلي أو منزلك اشتريته أنا ومَن؟ أنا وإسرائيل حقيقة بما تعنيه الكلمة، شراه لي الإسرائيليون، ودفعوا مبلغاً أكثر مما دفعت؛ لأنهم يفهمون أن هذه الأسرة متى ما فسدت سيصبح فسادها في صالحهم. لأن المسألة وصلت إلى صراع، صراع شامل وليس صراعاً في جانب واحد، صراع إعلامي، فكري، ثقافي، سياسي، أم أنهم يرتاحون جداً لنا، ويريدون أن نعيش حياة مرفهة، ونرتاح جداً فنتفرج على العالم من خلال ما تبثه القنوات الفضائية في مختلف بلدان الدنيا، يريدون فقط أن يقدموا لنا خدمة؟ ما عندنا مثل معروف يقول: (ما قد نصح يهودي مسلم)؟

هذا قد حصل لآبائنا وأجدادنا، قد جرَّبوا العيش مع اليهود، وعرفوا اليهود، وأنه (ما قد نصح يهودي مسلم) فاليهودي هو الذي دفع ثلاثة أرباع قيمة الدش الذي فوق منزلك؛ لأنه عارف أن ابنك عندما يفسد، وابن هذا عندما يفسد، وابن هذا عندما يفسد أن المجتمع مكون من لبنات هي الأسر، ومتى ما فسدت هذه الأسرة وهذه، وهذه، وهذه، يعني فسد المجتمع، ومتى ما فسد المجتمع أصبح لا يشكّل أي خطورة عليهم، وأصبح ميداناً يمشي عليه كل ما يريدون أن يعمموه عليه.

هذا جانب مما تعنيه آية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾(آل عمران:١٠٢) وهي من منظار آخر بعد أن قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(آل عمران:١٠١) يقدّم هو الهداية فهكذا كونوا، هكذا كونوا.

[آيات من آل عمران الدرس الثاني]

يجب أن نبتعد عن كل مصادر التضليل والفساد

والذي أريد أن أقول: بأن هذا الزمن، هذا العصر لا نعلم بأنه مر في هذه الدنيا عصر أزهى منه، ولا أكثر تضليلاً وضلالاً مما يحدث فيه، ضلال بشكل رهيب، وبشكل دقيق، وبانتشار كثير على نطاق واسع، وبشكل أوسع من انتشار الضلال ربما في أي زمن من الأزمنة الماضية، الضلال ينتشر في هذه الدنيا من أقصاها إلى أقصاها في لحظة

واحدة وفي ساعة واحدة، بينما كانت الكلمة الباطلة، الكلمة المضلة، أو الموقف الضال في العصور الماضية لا تنتشر في منطقة كالجزيرة العربية إلا في أشهر حتى تصل من أقصى الجزيرة إلى أقصى الجزيرة.

وعندما تصل لا تصل إلى كل قرية، عندما تصل لا تصل إلى كل بيت، في هذا الزمن يصل الضلال، التضليل، الخداع، التزييف إلى داخل ـ تقريباً ـ كل بيت، وفي لحظة واحدة، وبسرعة هائلة، حتى إلى داخل المساجد أنفسها، زمن رهيب جداً....

فلنفهم أن هذه القضية بالغة الخطورة وحسَّاسة جداً، وأن من الضمانات ـ وكما قلنا أكثر من مرة ـ هو أن نتولى علياً (عليه السلام) على هذا النحو الذي فهمناه من خلال هذا الكلام تولياً صادقاً، تولياً عملياً، نتولى الله تولياً صادقاً تولياً عملياً نحب الله، ونخاف من الله، ونحرص على رضى الله، ونتولى رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) تولياً صادقاً نحبه ونعظمه ونجلّه، يكون له في نفوسنا وَقْعٌ، يكون له في نفوسنا مكانة عظيمة، كذلك الإمام علي (عليه السلام). ثم نعرف خطورة المسألة.

وإن شاء الله سنكون ممن يحصنون أنفسهم، وسيكونون بتوليهم لله ولرسوله والذين آمنوا من حزبه الغالب، وأن نبتعد عن كل أسباب التضليل، عن كل مصادر التضليل سواء عن وسائل التضليل من قِبَل اليهود والنصارى مباشرة أو من طريق أولياءهم.

[المائدة الدرس الثالث]

خطورة التحليلات المترتبة على الأخبار المضللة

التحليل إذا كان تحليل إيجابي وفهم للأحداث على حقيقتها ليكون لي موقف منها، موقف إيماني.. لا أن أتلقى ما يقول الآخرون وأتأثر بالآخرين، أنا يكون عندي قدرة على أن أفهم الأحداث، وأن أفهم كيف أقف الموقف الإيماني منها، هذا جيد.

لكن عندما يكون الناس يتحدثون بما يتحدث به الآخرون، ويحللون تحاليل قلب يترتب عليها تأييد ومعارضة، تأييد ومعارضة، هذه هي نفس القضية الخطيرة، يخرج الناس من مجلس معين بعد تخزينة ـ وخاصة إذا هي بزغة جيدة وأذهان صافية والأريلات كلها تستقبل تأتي تحاليل ـ ويخرج الإنسان وهو ما يدري، قد هو متجه لأن يصلي صلاة المغرب والعشاء وفي علم الله قد يكون ممن قال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ

مِنْهُمْ﴾ ما معنى منهم؟ ألم يقل هناك: اليهود والنصارى؟ لا تتخذوا، جاء بالإسم لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، فعند ما يقول: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ يعني ماذا فإنه من اليهود والنصارى.

فيخرج واحد ولا سمح الله وقد هو يهودي ـ متجه إلى المسجد ـ من حيث لا يشعر، يهودي بغير زنانير، يهودي بغير زنانير نتيجة التحليلات الخاطئة والفهم الخاطئ وسهولة اتخاذ الموقف على حسب ما يسمع.

الشيء الذي لا بد منه أن الإنسان إذا ما تبينت له الأحداث يكون له موقف بأنه لا يتخذ من داخل نفسه تأييد أو معارضة إلا بعد أن يتبين له وجه الحق في المسألة، أو أن يرى ممن يثق بهم في فهمهم في تدينهم من قدواته لهم موقف من هذه المسألة فيقف موقفهم.

غير هذه تكون المسألة خطيرة، تكون المسألة خطيرة كما حكى الله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾(النساء١٤٠) ألم يقل مثلهم؟ يخوضون في القرآن يتحدثوا عن آيات في القرآن بسخرية أو بنقد أو بأي شيء من هذه، وأنت هنا تزعم أنك مسلم ومؤمن بالقرآن، لكن جلوسك معهم قد تتأثر، أو جلوسك معهم وأنت ساكت، يعتبر تشجيع لما هم عليه يحولك هذا الموقف الذي أنت تتهاون به إلى أن يكون حكمك حكمهم.

[الموالاة والمعاداة]

﴿لا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ قاعدة مهمة تفيدنا في مقاطعة القنوات المعادية

عندما يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا﴾(البقرة: من الآية١٠٤) لماذا لا يأتي الخطاب لليهود؟ يا أيها اليهود اسكتوا، أو اتركوا استخدام هذه الكلمة؟ ((لأن مفتاح أن يضرك العدو، أن يهزمك العدو، أن يهينك العدو، هو من عندك أنت))

...

هذه القضية في القرآن مؤكدة، هنا توجه الخطاب إلى المؤمنين كلهم، الإمام علي بن أبي طالب ملزم هو أن يترك كلمة: ﴿رَاعِنَا﴾ وهل يمكن أن الإمام علياً سيستخدم كلمة: ﴿رَاعِنَا﴾ في المعنى اليهودي الذي يستخدمه اليهود؟ لا، لماذا؟ لأنه لا يمكن أن يقفل المجال على اليهود فلا يتمكنون أن ينطقوا بهذه الكلمة، أي تحبط مؤامرتهم ـ اعتبرها أحبطت مؤامرتهم ـ إلا بأن تقفلوا أنتم هذا المجال من عندكم، وإن كنتم لا تستخدمونها بنفس المعنى الذي يستخدمه اليهود، ((إقفال المجالات التي فيها ثغرات للأعداء تأتي من عند المؤمنين)).

[السادس رمضان]

اليهود يستهدفون المجتمع من الداخل

ولأن الآيات هي في سياق الحديث عن أهل الكتاب وعن أعمالهم الخبيثة وخططهم الماكرة، بدأ التوجيه نحو الهداية من الأمر بتقوى الله حق تقاته، ثم الاعتصام بحبله، ثم ماذا؟ ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(آل عمران:١٠٤) في طريق أن تكونوا بمستوى أن تواجهوا أهل الكتاب لا بد أن تؤهِّلوا أنفسكم، لتتحركوا أولاً في مجال إصلاح المجتمع من الداخل؛ لأن أهل الكتاب سينفذون إلى داخلكم، إلى أعماق بيوتكم، إلى أعماق نفوسكم، فلا بد أن تكونوا معتصمين بحبل الله جميعاً، ثم تنطلقوا بشكل جماعي ـ بعد أن تؤهلوا أنفسكم وتجعلوا من أنفسكم أمة قادرة على أن تتحرك في الداخل أولاً ـ في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لا تتصوّر أبداً بأن معنى المسألة في مواجهة أهل الكتاب هو: أن تتجه بعينيك إلى (نيويورك) أو إلى إسرائيل أو إلى (لندن) أو (باريس) أو نحوها، من هنا، العمل يأتي في مواجهتهم من هنا من الداخل؛ لأنهم هم ـ وهم في مجال أن يضربوا الأمة ـ يتغلغلون إلى داخلها بمختلف وسائلهم الخبيثة ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا﴾(المائدة:٣٣) فساداً ثقافياً، فساداً أخلاقياً، فساداً اقتصادياً، فساداً في البيئة، فساداً في كل مجالات الحياة.

[آل عمران الثالث]

***

مطلوب مني أن أكون جندياً من جنود مدبر شؤون السموات والأرض، أتحرك، هو يؤيد، وينصر في حركتك المباشرة

إذاً عندما نفهم هذا نحن، ونفهم الناس قضية ينطلق الناس فيها ويرون بأنه مطلوب مني أن أكون جندياً من جنود مدبر شؤون السماوات والأرض، أتحرك، هو يؤيد، وينصر في حركتك المباشرة، ويعمل أشياء كثيرة من هناك. مثلما قلنا بأنه ورسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) في مكة معه مجموعة مسلمين مستضعفين يعذبونهم، وناس يحتاجون يهربونهم إلى الحبشة لاجئين، أليس هو هناك يدبر ما بين فارس والروم؟ عندما يكون الناس يرون أنفسهم في وضعية تبدو أنهم مستضعفون فيها، وفي حالة شدة وكذا، هم لا يعرفون ماذا يعمل الباري في مجالات أخرى في الساحة العالمية هذه، ذلك الذي يصيِّح وفوقه حجر في الشمس قد يأتي للواحد يأس، يأس يحصل عنده بنسبة ألف في المائة أن هذه حركة يمكن أن تنهض، ويأتي في يوم من الأيام ويكون الناس هؤلاء هم ولاة في بلاد فارس والروم وغيرها، لا، هذا في حرارة الشمس والله يدبر هناك، يغير أشياء كثيرة لا يستطيع المسلمون أن يغيروها لو يقفون كلهم في الشمس، هو يغير هناك.

***

يجب نحن أن نذكِّر أنفسنا بقضية اليوم الآخر بشكل مستمر

تذكّر اليوم الآخر قضية مهمة، وعندما يقول: ﴿**الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ**﴾(البقرة:٤٦) أي: أنها قضية يجب نحن أن نذكّر أنفسنا بقضية اليوم الآخر بشكل مستمر حتى تصبح المسألة عندك قضية تستشعرها دائماً، لا يحصل منك حالة نسيان لليوم الآخر. ولهذا يكون هناك أدعية مناسبة، مناسب أن الإنسان يدعو بها دائماً، مما لها علاقة بموضوع الجنة والنار، واليوم الآخر وأشياء من هذه في قنوت الصلاة، وبعد الصلاة، وفي أي لحظة، يتذكر أن يدعوه دعاء ((اللهم إنا نسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك والنار))، أن يدعوه كلما يحصل عنده رغبة أنه يدعوه ويتذّكر يدعوه؛

لهذا يجب التركيز في تذكير الناس باليوم الآخر بشكل متكرر، وبشكل يكون مرتبطاً عملياً.

يعني: عندما ترى بأن الله سبحانه وتعالى يتحدث هنا بموضوع هو يعني نقلة؛ ولهذا قال: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ هنا يبين الأشياء التي تشكل عوناً للنقلة هذه: صبر وصلاة، وخشوع لله من مظاهره: التذكر الدائم لقضية اليوم الآخر: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾(البقرة:٤٦) لأن هذا عملياً يجب أن نسلكه مع أنفسنا حتى في مرحلة النقلة هذه، للاستمرار على الحالة هذه، وعندما تذكر الناس الذين تريدهم أن ينتقلوا إلى وضعية كهذه، أن نركز على هذا الجانب، جانب: التذكير باليوم الآخر، الترغيب بالجنة، والترهيب من النار، وربط المسألة عملياً بهذه، أي لا أقوم أعمل لك خطبة فقط أذكر فيها جنة ونار وفقط.

تجد أسلوب القرآن الكريم هنا يأتي بالجنة والنار، وذكر اليوم الآخر في إطار عملي وهو يوجه إلى شيء ينطلقون فيه، أو يحذر من الوقوع في شيء، فيأتي بحديث عن اليوم الآخر.

[الدرس الرابع]

***

مواصفات إيمانية مهمة جداً

المؤمنون الذين دفعهم إيمانهم، وترسخ في نفوسهم من خلال هذا العمل، ومن خلال هذا العمل، ومن خلال هذه الآية، ومن خلال تلك الكلمة، ومن خلال ذلك الموقف الذي تجسد في عمل الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) لم يكن وليدة لحظة بل ترسخ في نفوسهم؛ لأنهم كانوا هكذا: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾(التوبة:١١٢) هم هؤلاء المؤمنون الذين قال عنهم بأنهم باعوا أنفسهم من الله، كأنه قال: هم الذين يمكن أن يصلوا إلى هذه الدرجة، هم أولئك الذين هم ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ

لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.. ما هي البشارة من جانب الله؟. رضوانه، والجنة، والفوز في الدنيا والآخرة، الكرامة في الدنيا والآخرة، العزة في الدنيا والآخرة.

وهم من كان إيمانهم إيماناً كاملاً، إيماناً وهم يتجهون نحو الله سبحانه وتعالى فتبرز من كل جوارحهم ما يجسد إيمانهم حتى وهم يتحركون في الأرض سائحون في أعمال التجارة في مختلف الأغراض يسافرون فيكون سفرهم أيضاً مما يصبح عبادة من خلال تأملاتهم، ومن خلال اهتماماتهم بواقع الحياة، ومن خلال اهتمامهم ببناء الأمة، فخبرات من هنا، ومن هنا يحصلون عليها في مجال بناء الأمة. سواء في تعاملهم مع الآخرين أو تعاملهم مع الله، هكذا ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾(الرعد:٢١) لأنهم مسلّمون، ومستسلمون ونفوسهم سليمة، ومستسلمة لله ربهم وملكهم، وإلههم، وسيدهم، فهم لا يأنفون من أن يصلوا ما أمر الله به أن يوصل؛ لأنهم عبّدوا أنفسهم لله.

﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾(الرعد:٢١)، قلوبهم مملوءة بالخشية من الله، والخوف من يوم الحساب، أن يقفوا بين يديه فيحاسبوا حساباً عسيراً؛ لأنهم يعرفون ماذا وراء الحساب العسير أن وراءه النار.

[المائدة الدرس الرابع]

***

من لا يصغي ولا يهتم لهدى الله يكون عرضة للتضليل

﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾(الأعراف: من الآية١٤٨) هنا يبين للإنسان كيف أنه فعلاً في موضوع هدى الله يحتاج إلى إصغاء، واهتمام، ويكون مبنياً على إيمان، والتزام، والذين لا يكونون بهذا الشكل يكونون عرضة لأي تضليل، قوم موسى، يعني ليسوا أناساً من مجاهيل أفريقيا، أو نحوها.. قوم موسى الذين حررهم وهم في مصر، حررهم مما كانوا فيه، وفلق الله لهم البحر، وآيات عجيبة يشاهدونها، ومع هذا ماذا؟ كانت عندهم قابلية أن يضلّوا، هو قال:﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾(طه: من الآية٨٥) ألم يقل وأضلهم السامري؟. لاحظ هنا في القضية هذه ألم يحصل مؤاخذة لهم شديدة؟. يوم قالوا:﴿يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً ..﴾ عندما خرجوا من

البحر كانت نفسياتهم ما زالت ثانية، وجههم موسى، وما حصل لهم شيء. هنا قاموا هم بتضليل السامري، وهم يعرفون بأن موسى ما زال حياً وإنما ذهب إلى الجبل، ذهب في ميعاد حدده الله له.

لهذا عندما يكون الإنسان غير مهتم، ولو كان في عصر مليء بالأنبياء، ولو كانت آيات الله تتنزل، ولو يشاهد عصا موسى تتحول إلى ثعبان، إذا لم تبن عليها قاعدة أساسية عندك: التزام، وفهم، ووعي، ستكون عرضة للتضليل، هؤلاء ناس ضُللوا وموسى ما زال حياً، وضللوا بعد أن قضى موسى معهم فترة طويلة في التبيين، وبعدما قد رأوا الآيات الكثيرة...

كذلك في أي زمان لا يتصور واحد، مثلاً تتصور بأنه كأنك لا تسمع شيئاً، الناس إذا لم يكن عندهم اهتمام أن يصغوا بجدية، ويتفهموا، قد تأتي في مسيرة الناس أشياء كثيرة يكون من لا يهتمون عرضة لأن يضلوا فعلاً، ليست قضية سهلة. هنا يبين لنا أشياء، بين للناس في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) بهذه الأشياء، ولم يأخذوها على محمل الجد فضلوا فعلاً! هنا قال: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾(طه: من الآية٨٥) فتنهم.

كل المسألة تقدم على أساس أن الإنسان يتعامل بجدية مع ما يقدم من عند الله، وأن يتعامل بجدية مع ما قدم من عند الله هو بالشكل الذي يكون له إيجابية كبيرة في حياته؛ لأن حالة اللامبالاة هذه معناها في حد ذاتها: أن ما لله قيمة عندك، وليس لهداه قيمة عندك، إنما فقط اتغضَّاب! إذا لم يكن [إلا اتغصاب يغصبه] فلن يغصبه، سيجعله يضل.

[الدرس الثامن والعشرين من دروس رمضان]

***

كيف نكون شهداء لله

كما نقول: نفهم بأن الله هو حي قيوم، وهذه قضية أساسية، وأن القرآن الكريم هو كتاب حي قيوم لا ينفصل عن قيومية الله سبحانه وتعالى، الله يقول في القرآن: أنه على كل شيء شهيد، نعرف كيف نهتدي به، وكيف نسير عليه، وكيف نقدمه للآخرين، وكيف يجعل الناس من أنفسهم نموذجاً صحيحاً، مهما أمكن، وبعون الله،

يستعين الناس بالله، دعاء ورجوع إلى الله كيف نكون مثلما قال في آية أخرى: ﴿شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾(النساء: من الآية١٣٥) قضية شهداء أن هذا الشيء عظيم، يبدأ من عملنا مع الناس الذين هم منا زيود، وأمام الأعداء أنفسهم نحن نقول عن الأمريكيين: أن معهم عناصر تتحرك، وتعمل استبيان للناس، يجب من يسيرون على القرآن أن يقدموا أنفسهم نموذجاً لأمة منضبطة تماماً، أمة عندها رؤية واضحة، أمة ليست تحركاتها عشوائية، ولا كل واحد يمشي على هواه، ولا كل واحد [شوره من قرنه] مثلما نقول.

[الدرس السابع والعشرين من دروس رمضان]

نعمة الهداية هي تنعكس على حياة الناس

ونعمة الهداية هي تنعكس في نفسيات الناس، في سلوكهم، في رؤاهم، في مواقفهم، في تصرفاتهم. تكون حكيمة في بنيتهم الاجتماعية بشكل عام، كمجتمع قوي، ومجتمع حكيم، ومجتمع يشكل نموذجاً ينعكس في كل مواقفه وتصرفاته هدى الله...

العبرة الثانية: أن يحذر الناس، أن يحذروا؛ لأنه أحياناً قد يكون التمادي في التنكر لهدى الله، أو عدم الاهتمام به، عدم التقدير له، يؤدي في الأخير إلى وضعية سيئة جداً، و أعتقد أن المسلمين يعيشون فيها بكل معانيها.

[الدرس الخامس رمضان]

الله يوفقنا جميعاً لما فيه رضاه، ويجعلنا من المستنيرين بكتابه، ومن المستبصرين بهداه. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله.

بتاريخ ١ ربيع الثاني ١٤٣٨ هجرية